الدافع الديني للاستشراق وأثره في الفكر الإسلامي

د. رضوان أحمد شمسان الشيباني
أستاذ الفكر والدراسات الإسلامية المشارك
جامعة الحديدة كلية التربية
قسم الدراسات الإسلامية

مقــدمة

تؤدي الدوافع دوراً مهماً وأساسياً في أي نشاط من أنشطة الحياة فهي الأساس لكثير من النجاحات، وخاصة إذا ما تحول الدافع إلى حاجة أو ضرورة بالنسبة للإنسان المدفوع، وقد يلتقي في نتائجه مع الهدف الذي يسعى إليه الإنسان، فيكَّونَان غاية قد تكون نبيلة حسنة أو سيئة، وقد يكتسب هذا الدافع قدسية إذا ارتبط بالدين أو خدمته.

ولما كانت الكنيسة الغربية تمثل رأس القدسية الدينية لدى المسيحيين الغربيين؛ فقد رأت أن أول أولوياتها هي حماية الدين الذي تمثله، وبالتالي حماية مصالحها، ونفوذها لدى الأتباع من أي خطر يتهددها؛ لذا فقد اعتبرت أي فكرٍ أو معتقدٍ يصادم أو يخالف ما تدين به الكنيسة خطراً لابد من التصدي له، ولما كان الإسلام وفكره يخالف الكنيسة في الركيزة الأساسية من دينها وهي "عقيدة الألوهية" كان لابد أن تتحرك لتدمير هذا المخالف، أو على الأقل تحجيمه وحصره في منطقته، وعدم السماح له بالتقدم إلى مناطق نفوذها.

لذا فقد كان للكنيسة السبق في إرسال البعثات الاستشراقية إلى العالم الإسلامي، بل وأسست انطلاقاً من هذا الدافع لمسار الاستشراق على مدى قرون، الأمر الذي جعل من هذا المسار بصمة لا يمكن التعرف على الاستشراق إلا بها.

ونظراً لأهمية هذا الدافع و تأثيره حتى الآن ليس على الفكر الاستشراقي فقط بل على الفكر الإسلامي أيضاً؛ فقد رأى الباحث أن يتناوله بالدراسة على الرغم من وجود آراء ترجح اختفاء هذا العامل في العصر الحاضر نتيجة التطور الذي حدث في أوروبا، وتقلص دور الكنيسة بعد انتهاج الأوربيين للعلمانية مذهبا لهم. وهو ما يتعارض مع واقع الاستشراق المعاصر الذي يشي بأن هذا الدافع لا زال فاعلاً ومؤثراً ولم يستطع الفكر الاستشراقي التخلص من آثاره.

هدف البحث: يهدف البحث إلى إبراز خطورة تأثير الدافع الديني على الفكر الإسلامي من حيث كون الاستشراق بجانبيه السلبي والإيجابي هو موضوع من موضوعات الفكر الإسلامي.

منهج البحث: وقد استخدم الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي الاستقرائي التحليلي

وختاماً آمل أن أكون قد وفقت في تناول هذه المسألة وما انتهيت إليها من نتائج وتوصيات.

والله الموفق.

المبحث الأول: مفهوم الاستشراق و دوافعه

يتضمن هذا المبحث مفهوم الاستشراق ونشأته (المطلب الأول)، ودوافعه (المطلب الثاني).

المطلب الأول: مفهوم الاستشراق و نشأته.

أولا: تعريف الإستشراق:

يتمحور تعريف الاستشراق حول المعنى اللغوي (Orientalism) واستخدامه بهذه الدلالة يحصر نشاطه في البحث في علوم وآداب منطقة جغرافية معينة وهي الشرق وذلك بالنسبة للغربيين[1].

إن كلمة "الاستشراق"، والتي نبحث عن مفهومها اللغوي لم ترد في المعاجم اللغوية العربية، وليس معنى عدم ورودها

سوى استحالة الوصول إلى المعنى الحقيقي استناداً إلى قواعد الصرف، وعلم الاشتقاق، إذ يبدو أن معنى الاستشراق أدخل نفسه في أهل الشرق وصار منهم [2]، وبالتالي نجد المراجع اللغوية الحديثة تعرف مادة "استشراق": بطلب علوم الشرق ولغاتهم وهي كلمة "مولدة عصريّة "تقال لمن يعنى بذلك من علماء الفرنجة [3]، وقد أضيفت ثلاثة أحرف إلى كلمة شرق فصارت استشراقاً لتعطيَ معنىً للمصطلح فيصبح "طلب الشرق"، والمستشرق: هو عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآرائه[4].

ويعرف الألماني رودي بارت الاستشراق بقوله: "كلمة استشراق مشتقة من كلمة (شرق) وكلمة شرق تعني شروق الشمس، وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق أو علم "العالم الشرقي" ولكن بارت لا يقدم حلاً لإشكالية أن مفهوم الشرق هو مفهوم متغير تبعاً لاختلاف المكان وتغير الزمان، فالشرق يختلف مفهومه بالنسبة لليابابي أو العربي أو الأمريكي، وهو يختلف عند أهل العصور القديمة والوسطى عنه في العصر الحديث خصوصاً بعد اكتشاف الأمريكيتين[5]

ثانياً: نشأة الاستشراق.

يبدو أن عدم الاتفاق على تعريف محدد للاستشراق قد جاء باعتباره نتيجة طبيعية للغموض الذي يلف نشأته وتاريخه، وبالتحديد نشأة الاهتمام بالعرب المسلمين في شتى ظواهر الحضارة الإسلامية على مر التاريخ من الغربيين سواء من المسيحيين أم اليهود، ومن سار على نهجهم من غير ذوي الديانات وتلاميذهم من الشرقيين. "وإن أي محاولة لربط ظاهرة الاستشراق بتاريخ محدد لا تخلو من التكلف، فقد نؤرخ لظهور المصطلح في الغرب مثلاً نقول: إن كلمة مستشرق ظهرت في اللغة الإنجليزية حوالي عام (1779م)، وإن كلمة استشراق قد ظهرت في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام (1838م)، ولكننا إذا أردنا التاريخ لظهور قضايا الاستشراق فإن الآراء تتشعب حتى أن البعض من الدارسين يعود بتلك الظاهرة ونشأتها إلى البدايات الأولى لظهور الإسلام"[6]، أورد الباحثون أحد عشر رأياً متباينة حول تحديد بداية الاستشراق، بعضها يحدد تاريخاً بعينه، وبعضها يحدد حِقبة أو عصراً من العصور، والبعض يعتمد على حوادث أو غايات أراد الاستشراق الوصول إليها فكانت بمثابة البدء لهذه الظاهرة[7]، فهناك رأي يرد نشأة الاستشراق إلى بدايات البعثة المحمدية عندما علم الغرب بها من خلال وفود النبي ﷺ لقيصر الروم وغيره مما دفع الغرب إلى توجيه اهتمامه إلى هذا الدين الجديد وأصحابه بغض النظر عن دوافع هذا الاهتمام[8]، وهناك رأي يعود ببداية الاستشراق إلى العصر الأموي وتوسع دائرة الفتوح الإسلامية إلى معظم العالم المعمور على امتدادات قارات العالم الثلاث ورد الفعل لدى أوائل المفكرين النصارى من أمثال يوحنا الدمشقي[9] من خلال مؤلفاته مثل "حياة محمد" و "حوار بين مسيحي ومسلم"[10]، والبعض يرى أن الاستشراق قد بدأ في أوربا نفسها؛ وبالتحديد في العصور الوسطى الإسلامية إبّان الحكم الإسلامي في الأندلس وما وصل إليه سلطانهم في فرنسا وصقلية وجزر البحر المتوسط وإيطاليا، حيث نهل الأوروبيون الذين كانوا يسبحون في ظلمات الجهل من خلال ينابيع العلوم الإسلامية ولم يكن ذلك دون دراسة الإسلام ولغته، فكانت تلك هي الانطلاقة الحقيقية للاستشراق[11]، ويربط البعض بين الحروب الصليبية وبدايات الاستشراق، إذ كان من الطبيعي أن يحاول الغزاة الأوروبيون فهم ذلك العالم الذي جنّدوا جيوشهم لاحتلاله، فكان هناك الكثير من العلماء الذين عملوا كمستشارين علميين للقادة العسكريين وعلى أيديهم تم التعرف على الكثير من نتاج المسلمين في شتى العلوم، واستولوا على الكثير من مخطوطات المسلمين والتي لا يزال الكثير منها في متاحفهم إلى الآن[12].

ويعتقد البعض "أن الاستشراق الرسمي بدأ بصدور قرار مجمع فيينا الكنسي 1312م بتأسيس عدد من كراسي الأستاذية في العربية والعبرية... في جامعات باريس وإكسفورد وغيرها."[13]

ويرجع البعض أول استعمال للمصطلح إلى سنة 1630م حين أطلق بعض أعضاء الكنيسة على صموئيل كلارك بأنه "استشراقي نابه لمعرفته بلغات الشرق.[14]

فيما يرى آخرون أن بدايات الاستشراق كانت مع الحروب الصليبية التي بدأت التعبئة لها في مجمع كليرمونت عام 1095 في عهد البابا أوربان الثاني."[15] وفي هذه الفترة تبلورت المفاهيم العدائية التي أفرزتها الحروب الصليبية ضد الإسلام بعيداً عن المنهجية والموضوعية والأمانة العلمية والتي لم تتخلص الدوائر الاستشراقية من تأثيرها حتى اليوم.

ويعيد البعض البدايات الأولى للاستشراق إلى عام 999م بعد عودة البابا (جربرت) من الأندلس التي تعلم فيها[16].

ومع أن مصطلح الاستشراق يمكن سحبه على ثقافات وديانات الشعوب غير المسلمة كالهند وفارس والصين، إلا أن الاهتمام بالشرق الأدنى الذي يقطنه المسلمون كان كبيراً بحكم الجوار والقرب من أوربا، والتأثير الثقافي المتبادل.

ثانياً: مراحل الاستشراق.

يمكن تقسيمها إلى مراحل ثلاث اتسمت كل منها بسمة خاصة اختلفت باختلاف الأهداف وتطورها وهذه المراحل هي كالآتي:

المرحلة الأولى: التعرف على الإسلام.

نظراً للاختلاف حول البدايات الفعلية للاستشراق، فإن البعض[17] يرى أن المرحلة الأولى بدأت منذ القرون الوسطى قبل وبعد توماس الأكويني[18] حيث بدأ بكتابات فردية غير منتظمة حتى اهتمت به المؤسسات الرسمية ليصير بحثاً منظماً ورسمياً.

وقد اتسمت هذه المرحلة بالعداء للإسلام وساد الاتجاه اللاهوتي مما جعله مظهراً للصراع الديني بين أوروبا المسيحية والشرق الإسلامي.

ويرى آخرون أن هذه المرحلة تبدأ من القرن الثامن الميلادي حيث احتك العالم الإسلامي بالغرب سياسياً وحربياً[19] وكان موقف أوروبا من حضارة الإسلام أشبه بموقفنا من الحضارة الغربية الحديثة في أوائل نهضتها. وفي هذه المرحلة نشطت البعثات الاستشراقية خاصة تلك التي تمولها الكنيسة وكان معظم المستشرقين من الرهبان. حيث مثل الإسلام في هذه المرحلة مشكلة علمية وحضارية استدعت إجراءات معينة كالحروب الصليبية، والدعوة إلى النصرانية (التبشير) وكذا مشكلة لاهوتية أثارت العديد من الأسئلة في الجوانب الدينية التي كانت تمثل خطراً على سلطة الكنيسة[20].

المرحلة الثانية: نقل التراث الإسلامي.

يكاد يتفق الباحثون على أن هذه المرحلة تبدأ زمنياً مع أوائل عصر النهضة حيث نشطت الدراسات عن المسلمين في الجامعات الأوروبية في باريس وغيرها. وظهر أثر الفكر الإسلامي في كتابات بعض الفلاسفة الغربيين مثل ديكارت، وترجمت بعض الأعمال الأدبية، مثل: أساطير "ألف ليلة وليلة" حيث ترجمت إلى الفرنسية ثم إلى غيرها من اللغات، وبدأ الاهتمام بدراسة السيرة النبوية وظهرت الترجمات العديدة للقرآن الكريم.

كما نشطت حركة جمع المخطوطات الإسلامية وتحقيقها[21] بعد الحصول عليها بطرق مختلفة[22].

وقد ظهر في هذه الفترة على الاستشراق شيء من النزعة الإنسانية التي سادت عصر النهضة وحركة التنوير (النزعة العقلية) فأدى ذلك إلى ظهور دراسات أكثر موضوعية[23].

وفي القرن التاسعَ عشرَ عُقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام1873م، ثم توالت المؤتمرات والدراسات والمراكز الاستشراقية.

المرحلة الثالثة: الاستشراق المعاصر.

وتبدأ من القرن التاسع عشر وحتى الآن وشهدت هذه المرحلة تطوراً في مفهوم الاستشراق واتجاهاته، غير أن طابع الصراع ظهر من جديد وذلك لتغير الدوافع فقد ابتعدت الدراسات الاستشراقية في هذه المرحلة عن التجرد والإنصاف والمنهج العلمي النزيه العادل. حيث تحكمت الموروثات والرواسب التي خلفتها المرحلة الأولى التي تميزت بالعداء والصراع في معظم الدراسات المعاصرة.

وبالرغم من الاهتمام الذي تظهره بعض المراكز العلمية اليوم بالثقافة الإسلامية وإقامة المؤتمرات لها كما فعلت مكتبة الكونجرس الأمريكي ومعهد هوفر بجامعة ستانفورد. وكذا تدريس الثقافة الإسلامية في بعض الجامعات بالرغم من كل ذلك لم يظهر لهذه الدراسات والمؤتمرات أثرٌ إيجابي ينعكس على العلاقة بين الشرق والغرب، بل أصبح الغرب يغذي العداوات ضد الشرق والإسلام خصوصاً منذ ظهور إسرائيل وسيطرة الصهيونية على مراكز الثقافة والقرار في العالم الغربي، وما ظهور نظريات صدام الحضارات لهنتجتون[24]، ونهاية التاريخ لفوكوياما[25]، إلا دليل على سيطرة النزعة

العدائية ضد الشرق الإسلامي الأمر الذي صبغ هذه المرحلة بالصليبية الجديدة إن جاز هذا التعبير الذي أطلقه بوش[26] عند غزوه أفغانستان والعراق بعد احداث 11 ستمبر 2001م.

المطلب الثاني: موقف المسلمين من الاستشراق.

تباينت أرآء ومواقف العلماء المسلمين من الاستشراق فمن موافق لآراء المستشرقين وقابلٍ بها على علاتها دون تمحيص باعتبار أنهم حاملو راية التقدم الفكري والحضاري ومن رافض لها رفضاً تاماً باعتبار أنهم أعداء لا يريدون الخير للمسلمين كما أنهم محتلون ومحتالون لا يمكن الوثوق بهم والركون إليهم، وهناك صنف ثالث تعامل بعقلانية مع تراث الاستشراق فأخضعه للدراسة والنقد والتحليل وانتهى إلى أحكام هي أقرب إلى العدالة تجاه المستشرقين ونتاجهم الفكري ويمكن عرض هذه المواقف كالأتي:

أولاً: القبول التام

وهذا التوجه نحو قبول إسهامات المستشرقين يعد أول المواقف الثلاثة بروزاً، إذ أن بداية النهضة في مصر وسوريا قد اتكأت على مجموعة من المفكرين والأدباء الذين تلقوا علومهم عن الغرب إما بالابتعاث أو بالمتابعة، ويتسم هذا الموقف بالتأثر المباشر والقوي بالمعلومات الواردة عن المستشرقين حول التفسيرات الجديدة للإسلام من حيث كونه فكرة دينية عامة، حتى أصبح الاستشهاد بإنتاج المستشرقين في قضية إسلامية مدعاة أو مقياساً لمدى اطلاع المؤلف وسعة أفقه وكسبه من الآخرين. وكان من أسباب هذا القبول المطلق هو الانبهار بإسهامات المستشرقين الذين يتحدثون عن دين لا يدينون به وقد ظهر هذا التوجه في كتابات بعض الكتاب مثل حسين أمين، فؤاد زكريا، وطه حسين على تفاوت بينهم فأصبح تراث الاستشراق لدى البعض منهم مقدساً لا يجوز نقده أو المساس به[27].

وأظن أن هذا الموقف كان ـ مع الانبهار ـ ناتجاً عن تزعزع الثقة بالإسلام والمسلمين الأوائل في الوقت الذي لا يستطيع فيه المتأثر الانسلاخ الكامل عن الإسلام في بلد المسلمين، فكان البحث عن تفسير جديد للإسلام يرضى عنه الغرب ويكون مقبولاً عندهم.

ووجهة نظر هؤلاء الذين قبلوا إسهامات المستشرقين قبولاً غير مشروط أنه في الوقت الذي نتقبل فيه التقنية الغربية في مجال الاتصال والمواصلات وغيرهما ينبغي أن نتقبل أيضاً ما يقوله الغرب عنا وعما يريده لنا [28].

وهذه النظرة إنما تولدت من أثر الهزيمة العسكرية وإعجاب المهزوم بالمنتصر –كما جرت السنن– والشعور بالدونية وهي نظرة عاطفية قاصرة بعيدة عن الدراسة والتحليل.

ثانياً: الرفض التام:

وقف فريق من المفكرين المسلمين موقف الرفض التام؛ فلم يقبلوا أي إسهام في الثقافة الإسلامية من أناس لا يدينون بالإسلام.

ونظر هذا الفريق إلى الاستشراق على أنه علم أوروبي يعكس موقفاً أوروبياً وعقلية أوروبية كما أن ظروف نشأته قد شابتها شوائب كان لها ارتباط بالتبشير والاستعمار[29].

ومن أقوى مبررات الرفض أن الاستشراق بدارسته لعلوم المسلمين وإسهامه في الدراسات لم ينطلق من قاعدة علمية مجردة وموضوعية، بل إن هناك دوافع وأهدافاً غير علمية ساقت المستشرقين إلى هذا المجال خدمة لأغراض استعمارية وتنصيرية دينية عامة وتجارية اقتصادية وسياسية، وعليه فان الثقة منزوعة من إسهامات هؤلاء. ومن المؤسف أن يسخّر هؤلاء العلم الذي يسمو به الإنسان لإذلال الإنسان أو استعباده أو الطعن في تراثه وعقيدته بغير الحق.

وفي دراسة نقدية للمستشرقين الناطقين بالإنجليزية نجد أن هناك نتيجتين فيهما دعوة ضمنية لتحديد موقف رافض من دراسات المستشرقين، الأولى أن المستشرقين المحترفين –باستثناء قلة قليلة منهم– مازالوا يصرون على تشويه الإسلام وتزييف حقائقه.

والنتيجة الثانية هي أن "هناك دلائل تثير القلق تشير إلى تزايد العداء والكراهية ضد العرب، ويتبع هذا بالتالي عداء

ضد الإسلام، وهذا العداء في جذوره من صنع المستشرقين، وتأتي عدم الثقة وسوء الظن من مواقف الغربيين أنفسهم من الثقافة الإسلامية ومن المسلمين لتعزز هذه النظرة البائسة وتنتهي إلى حكم قاطع هو أن ما أسهم به المستشرقون إنما هو ضرر كله ولا خير فيه. وإن الاستشراق أنما هو جناح من أجنحة المكر الثلاث [الاستشراق . التنصير. الاستعمار] يستوي في هذا مع الإستعمار والتنصير، بل إنه هو المغذي للاستعمار والتنصير على حد سواء[30].

غير أن هذا الرأي إذا سلمنا به على إطلاقه فإننا نحرم أنفسنا من الفائدة من نتائج الاستشراق بل ونعمق الهوة والقطيعة بين الثقافات لذا فإن الأفضل أن نخضع هذه الدراسات الاستشراقية للنقد والتحليل للإفادة منها وهذا ما أخذ به الفريق الثالث.

ثالثاً: النقد والتحليل

والموقف الثالث هو ذلك الموقف القائم على الدارسات والبحث والغوص في إسهامات المستشرقين والتعرف على مواطن الضعف في هذه الإسهامات مع معرفة تامة بمواطن القوة في الإسلام.

وهذا هو موقف المواجهة الإيجابية كما يسميه أحد الباحثين[31]. مما يدل على أن هذا الفريق لا يقر المستشرقين إقراراً تاماً، فيقبل ما يجيئون به قبولاً غير مشروط دون عناء النظر في هذه الإسهامات مثل معظم أصحاب الموقف الأول[32].

والمواجهة الإيجابية تعترف بالاستشراق كما تعترف بتأثيره على المتلقين من المسلمين على المستويات العقدية والفكرية والثقافية. ويسعى أصحاب المواجهة الإيجابية إلى الاعتراف بفضل بعض المستشرقين على تراث المسلمين وبخاصة المخطوطات من حيث حفظها وصيانتها وتصنيفها ورصدها في قوائم تعين على الوصول إليها أينما كانت. هذا بالإضافة إلى فضل بعض المستشرقين في تحقيق بعض المخطوطات ونشرها، وبخاصة تلك التي تثري المكتبة العربية الإسلامية، لا تلك التي تزيد الهوة بين المسلم ودينه، وتسهم في نزع ثقته بهذا الدين، وتعين على إقرار ما يسعى بعض المستشرقين إلى تثبيته نحو الإسلام والمسلمين.

كما تعترف هذه الفئة من علماء المسلمين ومفكري العربية بإسهامات المستشرقين التي أريد منها أن تسد فراغاً في المكتبة الإسلامية من دراسات وأعمال موسوعية كدائرة المعارف الإسلامية والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي مثلاً؛ وإن كانت هذه الفئة تقر بأن هذه الأعمال إنما قامت على أيدي مجموعة من المستشرقين ممن لم تعرف عنهم جميعاً النزاهة، فوقعوا في أخطاء فاحشة عند حديثهم عن مواد هذه الأعمال[33].

ويفرق هذا الاتجاه ابتداء بين فئات المستشرقين، فلا يصدر تعميما خاطئا، بل يعترف بأن هناك مستشرقين موضوعيين يتسمون بالنزاهة في الحكم والحيدة في البحث، ومستشرقين آخرين لا تتسم اعمالهم بأي شكل من أشكال الموضوعية والحياد العلمي، بل تصطبغ بأهداف أخرى غير علمية. ويقدر هذا الاتجاه أيضاً للمستشرقين بصفة عامة ما يبذلونه من جهود مضنية وصبر عجيب في البحث والدرس، وإخلاص تام لخدمة أهدافهم واطلاع واسع وإحاطة بالعديد من اللغات القديمة والحديثة.

ومع ذلك فإن الدافع الديني في فترة الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي كان في حالة كمون نتيجة التطور الذي شهدته أوربا فكرياً حيث سيطر الفكر العلماني المتحرر من سيطرة الكنيسة التي حاولت أن تظهر خطاباً متلوناً تجاه الإسلام ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب وعلى الرغم من صدور الوثيقة التي وزعتها أمانة سر الفاتيكان على مجمعها الثاني لغير المسيحيين في عهد البابا يوحنا بولس السادس والتي تدعو فيها إلى تنحية الصورة البالية عن الإسلام وعلاقته بالكنيسة[34] على الرغم من ذلك فإن البابا الجديد بنديكت السادس عشر قد أساء إلى الإسلام ورسوله في إحدى محاضراته في ألمانيا بتاريخ 9 نيسان(إبريل) 2007م مما يدل على أن الدافع الديني لم يفقد أثره طوال تلك السنين.

المطلب الثالث: الدوافع والأهداف.

جاء تقدم الإسلام وانتشاره السريع في رقعة جغرافية كبيرة و زمن قصير ليمثل نموذجاً فريداً لم تألفه أوروبا حيث بلغ انتشاره في أقل من قرن من الزمان إلى حدود فرنسا التي تمثل قلب أوروبا، وكانت هذه الظاهرة تمثل تحدياً حقيقياً لسلطة

الكنيسة، والأنظمة الحاكمة التي بنت سيادتها وسلطتها على مفاهيم غير مرتبطة بالعدالة وكرامة الإنسان وفي هذا يقول إدوارد سعيد[35]: "بيد أنه فيما يخص الإسلام كان الشعور بالخوف إن لم يكن دائماً بالاحترام الذي أحسته أوروبا طبيعياً ومسوَّغاً. فبعد وفاة محمد ﷺ عام 632م تنامت سيطرة الإسلام العسكرية في البدء ثم الثقافية والدينية تنامياً هائلاً وسقطت فارس وسوريا ومصر أولاً، ثم تركيا، ثم شمال إفريقيا في أيدي الجيوش الإسلامية، وفي مواجهة هذا الاجتياح الفائق لم يكن بوسع أوروبا أن تقدم استجابة سوى الخوف والشعور بالرهبة. ولم يكن لدى المؤلفين المسيحيين الذين شهدوا الفتوحات الإسلامية غير اهتمام ضئيل بعلم المسلمين وثقافتهم العالية، وجلالهم في كثير من الأحيان". ثم يلقي ادوارد سعيد الضوء على أثر ذلك التوسع الإسلامي فيقول[36]: "لم يصبح الإسلام رمزاً للرعب والدمار الشيطاني وأفواج البرابرة الممقوتين بصورة اعتباطية فقط. فبالنسبة لأوروبا كان الإسلام رجة مأساوية دائمة وحتى نهاية القرن السابع عشر كان (الخطر العثماني) متربصاً بأوروبا ممثِّلاً بالنسبة للحضارة المسيحية كلها تهديداً دائماً. ومع مرور الزمن امتصت الحضارة الأوروبية هذا الخطر وأحداثه العظيمة وخبراته الموروثة وشخصياته وفضائله ورذائله وحوَّلته شيئاً منسوجاً في لُحمة الحياة الأوروبية.

ويمكن اعتبار ما سبق أسباباً لقيام العداوة والعمل على التخندق ضد الإسلام واعتباره عدواً يجب مواجهته وحشد كافة الطاقات والإمكانات لهذه المواجهة وبلغت هذه العداوة أوجَّها خلال الحروب الصليبية التي كانت نتيجة مباشرة لذلك التحشيد مع أن الإسلام لم يكن سوى رسالة دينية فكرية وكان الأولى فتح حوار يخدم مصلحة البشرية جمعاء ويؤدي إلى تعاون حضاري وتكامل بدلاً من النهاية التي رسمها بعض المفكرين الغربيين –أمثال صموئيل هينتجتون– للعلاقة بين الإسلام والغرب وتصويرها على أنها "صدام بين الحضارات "بدلاً من" حوار الحضارات "الأمر الذي يظهر هذه العلاقة وكأنها استحالة التعايش مع الآخر بل ونفيه إن أمكن، مع أن الحضارة الإنسانية لا تقبل التجزئة من وجهة نظري . كونها بناء اشتركت الإنسانية كلها في تعميده وأما إطلاق لفظ جغرافي على الحضارة ما هو إلا للإشارة عن مقدار الدور الزمني لمشاركة هذه الأمة أو تلك فيقال الحضارة الفرعونية، الصينية، الإسلامية، الغربية.

وربما كانت الأسباب التي ذكرها إدوارد سعيد هي التي جعلت قضية التصورات الغربية للإسلام قضية مسيَّسة "حيث أسهمت ثلاثة أشياء . كما يقول[37]: في جعل حتى أبسط التصورات للعربي والإسلام قضية مسيَّسة إلى درجة عالية، بل تكاد تكون خشنة:

أولاً: تاريخ التحيز الشعبي ضد العرب وضد الإسلام في الغرب الذي ينعكس مباشرة في تاريخ الاستشراق.

ثانياً: الصراع بين العرب والصهيونية الإسرائيلية وتأثير هذا الصراع على اليهود الأمريكيين بالإضافة إلى تأثيره على كلا الثقافة التحررية والسكان عامة.

ثالثاً: الغياب شبه الكلي لأي موقع ثقافي يجعل من الممكن إما توحد الهوية مع العرب أو الإسلام أو مناقشتها دون شبوب عاطفي... ".

ومع ذلك يوجد من المستشرقين من تعامل بإنصاف مع التراث الإسلامي وسيتم الإشارة إليهم لاحقاً.

أولاً: دوافـــع الاستشراق.

مثلت الأسباب السابقة أرضية لتكون الدوافع التي حركت الاستشراق، وحدث خلط عند الباحثين بين الأسباب والدوافع فجعلوها واحدة، كما حدث الخلط أيضاً بين الوسائل والأهداف، ويعود ذلك إلى الطروحات التي تناولت الاستشراق من زوايا مختلفة حيث رتب بعض الباحثين هذه المباحث وفقاً للأهمية التي يراها وحسب تأثر خلفيته الثقافية وعليه فقد حدث الاختلاف في عدد الدوافع وترتيبها حسب ما سبق.

لذا فقد ظهرت التقسيمات المختلفة في العدد والتصنيف. فالبعض جعلها سبعة دوافع: "ديني، سياسي، علمي، تجاري، استعماري، دفاعي، خدمة اليهود "وقد قدمت هذه الدوافع على أنها أهدافٌ[38]. والبعض الآخر بالغ في إبراز بعض ما يراه على أنها دوافع بينما هي لا تنسجم كلية مع مفهوم الدافع ودلالاته كاعتبار العرقية دافعاً من دوافع الاستشراق[39].

وبتتبع العوامل المختلفة التي أوردها الباحثون فقد وجدنا أن هناك دافعين رئيسيين يندرج تحتهما عدد من الدوافع الثانوية التي تكون في مجموعها الدافع الرئيسي، وهذان الدافعان هما :- الدافع الديني، والدافع الاستعماري غير أننا سنتناول الدافع الديني بشئ من التفصيل باعتباره الدافع الأهم والأقوى أثراً.

- **الدافع الديني "الكنسي".**

ويشتمل على :-

1. **الدافع النفسي العام:** ويتمثل في الشعور بالخوف والرهبة من الإسلام كدين يقدم إجابات أكثر وضوحاً من تلك التي تقدمها المسيحية، يقول إدوارد سعيد في توضيح هذا الشعور[40]:- "إن الميل الثابت لإهمال ما عناه القرآن، أو ما اعتقد المسلمون أنه عناه، ولما اعتقده المسلمون أو ما فعلوه في أحوال معينة يتضمن بالضرورة أن المذهب النابع من القرآن والمصادر الإسلامية الأخرى، ولم يكن الغرب ليقبل أن ما يقوله المسلمون بأنهم مؤمنون به هو فعلاً ما يؤمنون به إلا بدرجة كبيرة من التقاعس فقد كان ثمة صورة مسيحية لم يتخلَّ الغرب عن تفاصيلها. حتى تحت ضغط الحقائق الواضحة. فالرؤية المسيحية كانت نصباً عالياً لم يكن يمكن أن يقوض حتى من أجل إعادة بنائه". وعلى الجانب الفكري فقد اتخذت الكنيسة من الاستشراق أداة للطعن في الإسلام، فجاءت المحصلة النهائية للاستشراق وليدة كراهية شديدة للإسلام[41].
2. **الشعور بالنقص تجاه التفوق الإسلامي** :- شكلّ الإسلام تحدياً حقيقياً لأوروبا؛ فقد تمكن الأوروبيون من السيطرة على الشرق الأقصى ولم يواجهوا تحدياً حقيقياً. فجزر الهند الشرقية أذعنت للبرتغال، وكذا نجحت التجارب الاستعمارية الفرنسية والبريطانية، إلا أن الشرق الإسلامي والعربي متّثل تحدياً لم تجد له أوروبا حلاً على الأصعدة السياسية والفكرية. حيث لم يكن الدافع الذي كان يحرك هذه الرغبة في المعرفة لم يكن للبحث عن الحقيقة أو البحث عن القواسم المشتركة لتحقيق نوع من التعايش وإنما كان بحثاً عن نقاط ضعف يمكن أن تخدم الصراع الذي ابتدأته الكنيسة [42].
3. **الإصرار على محاربة الإسلام وعدم فهمه على حقيقته:.** أخفق الباحثون الذين أجهدوا أنفسهم في دراسة مشكلة الإسلام في العصور الوسطى في إيجاد الحل الذي بحثوا عنه وتمنوا[43]. "لقد كانت دراستهم للإسلام عبارة عن عملية قياسية" فما دام المسيح هو أساس العقيدة المسيحية فقد افترض بعض المستشرقين أن محمداً :كان للإسلام مثل ما كان المسيح للمسيحية ومن ثم إطلاق التسمية التهكمية "المحمدية "من هذا التصور تشكلت دائرة مغلقة ينظر المسيحي من خلالها، فمحمد كان مرتداً داهية والجزيرة العربية ملجأ للهراطقة والعصاة والإسلام ذاته ليس إلا هرطقة[44].

ومما سبق يبدوا أن هناك إصراراً على محاكمة الإسلام وفق قوانين الغرب أو المسيحية ولذا فقد قدم لويس ماسينيون "الحلاج" على أنه بطل الإسلام الأعظم وليس الرسول ﷺ[45]. والسبب كما يبدو أن شطحات الحلاج وافقت التصورات التوراتية الإنجيلية في الاتحاد والحلول.

- **الدافع السياسي الاستعماري[46]:**

وهذا الدافع يلي الدافع الديني من حيث الأهمية وإن كان متأخراً عنه زمناً. وإذا كان الدافع الديني ودوافعه الفرعية قد ركزت على التبشير بهدف وقف الزحف الإسلامي على أوروبا، فإن ثروات الشرق وخاصة العالم الإسلامي قد فتحت شهية السياسيين الذين أرسلوا الحملات العسكرية المتتالية للسيطرة على ثروات الشرق بالإضافة إلى السيطرة على الموقع الجغرافي المميز الذي يعتبر وسطاً بين الشرق الأقصى والغرب والذي سيمهد لوصول الاستعمار إلى الشرق الأقصى فيما بعد.

فقد حاول نابليون إقناع المصريين أنه مسلم حقيقي وأنه جاء من أجلهم ومن أجل الإسلام وقد استخدم في رسالته التي وجهها لهم آيات قرآنية ليبرهن على ذلك الزعم. وجمع العلماء والقضاة ورجال الإفتاء والأزهريين واستقبلهم كعظماء ثم وجه نائبه كليبر بأن يدير أمور مصر من خلال المستشرقين والقادة الدينيين المسلمين. وكان هذا جزءًا من مشروعه في السيطرة على الشرق كله باعتبار أن مصر هي البوابة وحتى قناة السويس كانت ضمن هذا المخطط حيث تمكن

(دوليسبس) من إذابة الهوية الجغرافية للشرق بجر الشرق وضمه إلى الغرب لنفي تهديد الإسلام.

لقد استفاد الاستعمار كثيراً من التراث الاستشراقي، فنشأت رابطة وثيقة بين الاستشراق والاستعمار، حيث عمل بعض المستشرقين كمستشارين لوزارات خارجية دولهم وقناصل، وتجسسوا على المسلمين[47].

ولم يكن الدافع الديني والاستعماري حكراً على النصارى فقد التقت هذه الدوافع مع دوافع اليهود ورغبتهم الشديدة في النيل من الإسلام والمسلمين وقد كثر المستشرقون في أول الأمر بين اليهود لعدد من الأسباب حين كان الشرط الأساس للاستشراق معرفة اللغة العربية، وبما أن اليهود يتكلمون لغة عبرانية. وهي لغة سامية– فإن تعلم العربية كان سهلاً عليهم، ثم أن اليهود في الأصل شرقيون فساعدهم ذلك على فهم النصوص العربية وعلى إدراك المشاكل الشرقية أكثر مما كان ذلك مساعداً لغير اليهود، كما كان اليهود الذين يسكنون في الغرب يعرفون الحاجات السياسية والعلمية التي كانت الدول والجمعيات المعنية بهذا الاتجاه ترمي إليها أكثر من غيرهم؛ لجمعهم في الأصل بين الذهن الشرقي والمسكن الغربي[48]. والظاهر أن اليهود أقبلوا على الاستشراق لأسباب دينية، وهي محاولة إضعاف الإسلام والتشكيك في قيمه بإثبات فضل اليهودية على الإسلام[49]. وقد استطاع اليهود أن يكيفوا أنفسهم؛ ليصبحوا عنصراً أساسياً في إطار الحركة الاستشراقية الأوروبية النصرانية[50].

وإذا كانت الحروب الصليبية قد قامت على أسس دينية في مظهرها فإن الاستعمار الحديث لم يغفل العامل الديني حيث اتخذه ذريعة للأطماع في ثروات الوطن العربي التي هي السبب الحقيقي وراء الغزوات الاستعمارية فقد تحركت الفيالق العسكرية الإيطالية إلى ليبيا عام 1911م وجنودها يرددون بكل حماس[51] :–

إنني ذاهب إلى ليبيا فرحاً مسروراً..

لسحق الأمة الملعونة..

ومحو القرآن..

وبعد تمكن فرنسا من احتلال الجزائر سلم الجنرال "بيجو "مجموعة من الأطفال الجزائريين إلى الأب "بيرمو" وقال:– "حاول يا أبت أن تجعلهم مسيحيين، وإذا فعلت فلن يعودوا إلى دينهم ليطلقوا علينا النار.."[52].

وقد عمدت فرنسا إلى كل الوسائل لفرنسة الجزائر ثقافياً واجتماعياً ولا تزال آثار هذه السياسة باقية إلى اليوم، فبعد ثلاثين سنة من الاستقلال لا يزال 30% من الجزائريين يتكلمون الفرنسية.

وفي الخليج العربي وقعت بريطانيا عام 1820م معاهدة سلام شاملة مع حكام الإمارات بعد حملات عسكرية متكررة على المنطقة بحجة القضاء على القرصنة والنهب. واستكملت السيطرة على الخليج بشاطئيه العربي والإيراني بعد الاتفاق مع روسيا عام 1907م وكانت قد سيطرت على عدن عام 1839م بنفس الحجة وعقدت مجموعة من اتفاقيات الحماية مع سلاطين عمان وجنوب اليمن[53].

أما الأسباب الحقيقية فقد حددها حاكم بومباي في خطابه الموجه إلى شركة الهند الشرقية بتاريخ 27 فبراير 1838م؛ حيث قال عن عدن :–"... فهي تصلح كمخزن للفحم طيلة فصول السنة، ويمكن أن تكون ملتقى عاماً للسفن المستخدمة طريق البحر الأحمر وقاعدة عسكرية قوية..وعدن كجبل طارق.."[54].

ونظراً لازدياد الشعور الإنساني بمعاداة الاستعمار، كما أن تكلفته الباهظة على القوى الاستعمارية غيرت من أساليبها المباشرة إلى الأساليب غير المباشرة حيث دعمت دكتاتوريات قائمة على التسلط على الشعوب الإسلامية وهذه السياسة هي تنفيذ لنصيحة بعض الكتاب حيث "ينصح رئيس تحرير مجلة تايم في كتابه (سفير آسيا): "على الحكومة الأمريكية أن تفشي في البلاد الإسلامية دكتاتوريات عسكرية للحيلولة دون عودة الإسلام للسيطرة على الأمة الإسلامية وبالتالي الانتصار على الغرب بحضارته واستعماره "[55].

ثانياً: أهداف الاستشراق.

الهدف الديني. مثلت الدوافع الدينية السابقة للاستشراق منطلقاً للأهداف الآتية [56]:

1. محاربة الإسلام وفكره والبحث عن نقاط ضعيفة فيه، وإبرازها والزعم بأنه دين مأخوذ من النصرانية واليهودية، والانتقاص من قيمه والحط من قدر نبيه ﷺ.
2. حماية النصارى من خطر الإسلام وذلك بحجب حقائقه عنهم وإطلاعهم على ما فيه من نقائص مزعومة وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين.
3. التبشير وتنصير المسلمين.

وإذا كان السبب الرئيسي المباشر الذي دعا الأوروبيين إلى الاستشراق هو سبب ديني وتنصيري، فإننا لا ننكر أن هناك دوافع أخرى للاستشراق، قد تكون سياسية واستعمارية تندرج تحتها دوافع تجارية وشخصية وعلمية، إلا أن السبب الديني والتنصيري هما من أكثر الأسباب تأجيجاً للعداء ضد الإسلام وتحريفاً للحق، وتزييفاً للحقائق.

فقد بدأ الاستشراق بالرهبان واستمر إلى عصرنا على يد تلاميذهم وهمهم تشويه الإسلام وتحريف حقائقه ليثبتوا للجماهير التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام ـ خصم المسيحية الوحيد ـ دين لا يستحق الانتشار، وأن المسلمين قوم همج لصوص وسفاكو دماء يحثهم دينهم على الملذات الجسدية ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي ثم اشتدت حاجتهم إلى هذا الهجوم في العصر الحاضر بعد أن زعزعت النهضة الأوروبية الحديثة أسس العقيدة عند الغربيين وأخذوا يتشككون في كل التعاليم التي كانوا يتلقونها عن رجال الدين فيما مضى فلم يجدوا خيراً من تشديد الهجوم على الإسلام لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة خاصة وهم يدركون ما أثارته الفتوحات الإسلامية والحروب الصليبية والفتوحات العثمانية في أوربا من خوف وحقد على الإسلام وأهله فاستغلوا هذا الجو النفسي وازدادوا نشاطاً في مجال الدراسات الإسلامية، وكان التبشير أحد أبرز أهدافهم ـ خاصة وأنهم رجال دين ـ حيث بذلوا جهوداً ضخمة في سبيل تشويه صورة الإسلام عند أهله وبالذات رواد ثقافتهم من المسلمين لإدخال الوهن إلى عقيدة المسلمين وتشكيكهم في تراثهم وحضارتهم.

وإذا كان الهدف الديني لم يعد ظاهراً الآن في الكثير من الكتابات الاستشراقية فليس معنى ذلك أنه اختفى تماماً فهو لا يزال فعالاً وقوياً ولكن من وراء الستار، "حيث أن من الصعب على معظم المستشرقين المشتغلين بدراسة الإسلام وأكثرهم متدينون أن ينسوا أنهم يدرسون ديناً ينكر عقائد أساسية في المسيحية ويهاجمها ويفندها مثل عقيدة التثليث والصلب والفداء، كما أنه من الصعب عليهم أيضاً أن ينسوا أن الدين الإسلامي قد قضى على المسيحية في كثير من بلاد الشرق وحل محلها"[57].

وقبل أن نورد بعض ما ذكره كبار رجال الاستشراق حول الهدف الديني يجب أن نشير إلى أن ما ذكرناه ليس حكماً عاماً على كافة المستشرقين، إذ أن هناك فريقاً منهم حاول جاهداً الالتزام بالموضوعية والحيدة، بل وأنكر على كثير من زملائه نزواتهم التي انحرفت بهم عن النزاهة العلمية وهناك من أنصف في جانب وتحامل في جانب آخر. يقول منتجمري وات ـ كما أورد الشرقاوي ـ "... جد الباحثون منذ القرن الثاني عشر في تعديل الصورة المشوهة التي تولدت في أوربا عن الإسلام وعلى رغم الجهد الذي بُذل في هذا السبيل فإن آثار هذا الموقف المجافي للحقيقة التي أحدثتها كتابات القرون المتوسطة في أوروبا لا تزال قائمة [58]، وينقل عن برنارد لويس قوله: ".. لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين ومستترة في الغالب وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلمية..."[59] وينتهي ادوارد سعيد إلى القول: ومما سبق يتبين لنا مدى ارتباط الهدف الديني التبشيري بالاستشراق منذ ظهوره إلى يومنا هذا، حيث أنه "ليس في وسع أي باحث أن يقاوم ضغوط أمته، أو ضغوط التقليد البحثي الذي يعمل في سياقه عليه..."[60].

لقد ظل الهدف الديني محور النشاط الاستشراقي على مدى قرن كامل وقد سود المستشرقون الكثير من الصفحات التي تحولت إلى مكتبات في محاولات لا تفتر للنيل من الدين الإسلامي فقدموه إلى الغرب صورة باهتة ومسخ يجمع بين حضارات الفرس والروم وعلى أن حضارته وتراثه إنما هو تراث قومي صنعه العرب بعيداً عن الإسلام وبتأثير الحضارات

السابقة. ورآى المستشرقون أنه لا بد من الالتفات شرقا ومهاجمة الإسلام وفكره في عقر داره فتحركت مراكز الاستشراق ودوائره للنيل من الرسول محمد ﷺ والتشكيك برسالته[61]، وذلك عن طريق الهجمات الإعلامية المسيئة له كما حدث في الدنمارك حين قامت بعض الصحف بنشر رسوم مسيئة للرسول ﷺ وكذا ما حدث في هولندا من إنتاج فيلم مسيئ للقرآن الكريم باسم "فتنة" والذي قدم القرآن الكريم بأنه كتاب يدعو إلى العنف والتحريض عليه ولم تتوقف هذه الحملات حتى الآن ونتوقع مزيداً منها في ظل الصراع الفكري المحكوم بسنة التدافع أولاً والتعصب الاستشراقي تحت تأثير الدافع الديني ثانياً.

الهدف الاستعماري (السياسي و الاقتصادي). مثّل هذا الهدف تتويجاً للجهود التي بذلها المستشرقون تحت ضغط الدافع الديني وتقاطعت مصالح النخبة الدينية في أوروبا مع النخبة السياسية التي كانت تنظر إلى الشرق كغنيمة وبلدان تزخر بالثروات. كما أن موقعه الجغرافي الهام يسهل للدول الاستعمارية الوصول إلى مستعمراتها في الشرق الأقصى.

ولهذا فقد كان المستشرقون بخبراتهم الطويلة . كما أشرنا إليها في الدوافع . يمثلون حلقة الوصل بين الدافعين الديني والاستعماري فقد عمل الكثير منهم كدبلوماسيين ومستشارين للإدارات الاستعمارية في بلدانهم وفي الوقت نفسه عملوا كمبشرين ورؤساء إرساليات في المستعمرات، ويأتي التقاء المصالح بين النخب السياسية والدينية في الدول الاستعمارية؛ ليعزز هذا الترابط بين الدين والسياسة والاستعمار والاقتصاد وجاءت رغبتهم في السيطرة على النفط العراقي وكذا التحكم في نفط أسيا الوسطى الذي سيمر من أفغانستان؛ لتتقاطع مع رغبة الإنجيليين الجدد في بسط تعاليم دينهم على شعوب المنطقة فكان الغزو الأمريكي الأوربي لأفغانستان والعراق تحت ذريعة أحداث سبتمبر التي تخفي وراءها هذه الأهداف[62].

ومع كل ذلك لابد من الإشارة إلى وجود هدف علمي لدى بعض المستشرقين لا يمكن إغفاله وقبل الحديث عنه ينبغي لنا أن نفرق بداية بين علمية الدراسة ذاتها وبين علمية الدافع للقيام بها فالحقيقة هي أن العالم العربي والإسلامي يعد كنزاً حضارياً لا ينفد إذا ما قورن بشتى بقاع العالم، ففيه قامت حضارات قبل الإسلام وبعده ونشأت ثقافات ولغات وفلسفات متعددة وأرسيت علوم وفنون شامخة، ونزلت شرائع وأديان باقية خالدة وقد جذب هذا الميراث الحضاري اهتمام الغرب ودفعهم لدراستها وسبر أغوارها للاستفادة منها وما كان لذلك أن يتم دون حركة ناهضة تدرس من خلالها لغات هذا الشرق وآدابه وحضارته وعلى رأسها الحضارة الإسلامية، الأمر الذي جعل الدين الإسلامي بكافة أبعاده محل دراسة واهتمام الباحثين الغربيين، ومن ثم فاق اهتمام المستشرقين بالشرق العربي الإسلامي اهتمامهم بأي ظاهرة شرقية أخرى، وقد عبر عن ذلك أحد المستشرقين بقوله – كما نقل سعيد عبد الفتاح:".... إن ما يدين به علمنا لعلم العرب، ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة، بل يدين هذا العلم إلى الثقافة الدينية بأكثر من هذا، إنه يدين له بوجوده..."[63]. وعلى هذا يجب الاعتراف أن هناك دراسات استشراقية قامت بدافع علمي ولهدف علمي غير أن هذه الدراسات لم تكن قوية التأثير على الأهداف الأخرى وقد يتم حجبها إذا اقتضى الأمر لتحقيق هدف آخر من الأهداف السابقة. ومع ذلك لابد من تسليط الضوء على مثل هذه الدراسات وتشجيعها لمصلحة العلم.

المبحث الثاني: أثر الدافع الديني في الفكر الإسلامي

كان لمواقف المستشرقين ودافعهم الديني أثرٌ في تناولهم للتراث والفكر الإسلامي على وجه الخصوص، حيث امتد هذا الأثر إلى الوسائل والمناهج التي أخضعت هذا التراث للدراسة . فاستخدموا معايير لم تتسم كلية بالأمانة العلمية مما أنتج آثاراً سنتناولها فيما يأتي بعد عرض لتأثير الإسلام وفكره في الغرب وموقف المستشرقين منه.

المطلب الأول: موقف المستشرقين من الفكر الإسلامي:

اهتم الفلاسفة والمفكرون الأوربيون بالإسلام وفكره وكان أكثرهم اهتماماً الفرنسيون وخاصة فولتير[64] Voltaira وفولني[65] Volney ، فقد اهتما بشكل عام بالإسلام فاطلعا عليه عن قرب إلى حد ما، وبخاصة على الجوانب العقائدية

منه، ومن دراستنا نلاحظ أن كل ما كان يفهمه فولتير للأسف عن الإسلام واتخذه من ثم أساسا في الحكم عليه، هو أنه ربط خطأ بين العنف وبين الإسلام بل إنه أرجع تاريخ العنف في الإسلام إلى النبي ﷺ نفسه، فمحمد كان في نظر فولتير إرهابياً بالمصطلح الحديث. ونشير هنا إلى مسرحية فولتير التي كتبها ضد الرسول صلى الله عليه وسلم والتي هي بعنوان التعصب أو محمد النبي، والتي عرضت لأول مرة في مدينة ليل بفرنسا عام 1741م، وهذه المسرحية قد اشتملت على كل ألوان الطعن والتجريح في شخص النبي ﷺ والدين الذي جاء به[66].

والعجيب أن فولتير وهو يمثل عصراً كاملاً للحركة الفكرية في فرنسا يزعم بالإضافة إلى ما سبق أن الإسلام كان قد انتشر بسبب الإباحية الجنسية التي اتسم بها نظامه. ومع هذا فإن رسول الله ﷺ ظل بالنسبة لفولتير انتهازياً توقف نجاحه على استغلال سذاجة أتباعه وفرض دعوته على الناس القوه الغاشمة , وأنه كان كذاباً وذا نزعة عدوانية وشريرة، وقد عقد فولتير مقارنه ظالمة بين النبي محمد وبين نبي الله عيسى عليهما السلام، والغرض منها التقليل من شأن النبي محمد ﷺ. وينبغي أن يكون واضحاً أن الأدب الفرنسي قد اتسم في هذه الفترة بالكراهية الشديدة للإسلام والمسلمين، وبالطعن الحاد في رسول اللهﷺ، وقد أصاب نابليون حقاً عندما قال:[67] "لقد أساء فولتير إلى التاريخ وإلى القلب الإنساني، وذلك لشدة هجومه على الدين. لقد خلط الفيلسوف الفرنسي بين الإسلام كقوة سياسية مسيطرة، وبين الإسلام كدين، والذي كان فولتير يحط من شأنه ويحقره بشكل يصل إلى حد العداء السافر والتجرد من الروح العلمية. وإن كان قد لوحظ أن الحدّة في النقد عند فولتير ضد القرآن وضد الرسول ﷺ قد قلت بدرجة ما فيما بعد إلا أن أحكامه على الإسلام ظلت قاسية ومجحفة لوقت طويل. وقد ذكر لوبلا[68] أن قساً اندونيسياً في معرض حديثه عن قصة إسلامه أنه كان يقرأ لكتّاب نصارى يتحاملون على الرسول ﷺ ومما قاله أحدهم بأن محمداً رجل دجال يسكن في الدرك التاسع من النار ومنذ ذلك الحين تكونت لدي فكرة مغلوطة راسخة تدفعني إلى رفض الإسلام وعدم اتخاذه ديناً لي.

ومن هؤلاء المؤرخ أدوارد جيبون[69]. فقد مزج هذا المؤرخ في كتابه عن محمد ﷺ بين الحقيقة والإفتراء، إذ زعم مثل سلفه من الكتاب بأن الرسول ﷺ، كان كذاباً ولكنه كان في الوقت نفسه متحمسًا لدعوته، ولذلك لم يستطع جيبون أن يصل إلى نتيجة.

وهاجم فولني على سبيل المقارنة، الديانة المسيحية كذلك لعدم عقلانية عقائدها، ولكنه من ناحية أخرى مجد الجوانب الخلقية فيها واعتبرها ديانة الرحمة والعواطف، الإنسانية الراقية والأعمال الروحية الجميلة. أما الإسلام فإنه من العجيب أن يصفه بأنه ديانة تحتقر العلم، وتحط من قدره، ولا تقيم للأخلاق والقيم أي وزن. إن الإسلام من وجهة نظره يجر إلى المطامع ويشجع على ارتكاب الرذائل الخسيسة واتباع الغرائز الدنيا فإنه، أي الإسلام من أجل هذا يمني الشجعان بجنة الخلد ويتهدد الجبناء بالنار الأبدية[70]. ولست أدري كيف يحتقر الإسلام العلم وقد بدأ تنزيله بـ "اقرأ باسم ربك الذي خلق "**[العلق]** وكيف لا يقيم للأخلاق وزناً ورسوله ﷺ يقول "إنما بعثت لأُتمم مكارم الأخلاق"[71] ولكنه الحقد الأعمى على هذا الدين وفكره وأخلاقه وقيمه.

ومع كل ما أوردناه من تحامل بعض المستشرقين على الفكر الإسلامي فانه لابد من الاعتراف بأن هناك من المستشرقين من تكلم عن الإسلام ونبيه بشيء من الإنصاف مثل كارلايل[72] في كتابه الأبطال حين تحدث عن النبي ﷺ "لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متمدن من أبناء هذا العصر أن يصغي إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذب، وإن محمداً خداع مزور، وآن لنا أن نحارب ما شاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول مازالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس أمثالنا، خلقهم الله الذي خلقنا، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء كذبة، وخديعة ". ويقول في موضع آخر".... وهب أن لمحمد (عليه السلام) غلطات وهفوات . وأي إنسان لا يخطئ. إنما العصمة لله وحده ـ فإنه ليس في طاقة أي هفوات أو غلطات أن تزري بتلك الحقيقة الكبرى، وهي أنه رجل صادق ونبي مرسل[73]". ويقول هارت[74] "لقد اخترت محمدا على رأس هذه القائمة ولابد أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار ولهم الحق في ذلك ولكن محمد هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحاً مطلقاً على المستوى الديني والدنيوي "ويقول في موضع آخر:[75] "إذا

استعرضنا التاريخ فإننا نجد أحداثاً كثيرة من الممكن أن تقع دون أبطالها المعروفين مثلاً كان من الممكن أن تستقيل مستعمرات أمريكا الجنوبية عن اسبانيا دون أن يتزعم حركاتها الاستقلالية رجل مثل "سيمون بوليفار" ولكن مستحيل أن يقال ذلك عن البدو وعن العرب عموماً وإمبراطوريتهم الواسعة دون أن يكون هناك محمد ﷺ فلم يعرف العالم كله رجلاً بهذه العظمة قبل ذلك وما كان من الممكن أن تتحقق كل هذه الإنتصارات الباهرة بغير زعامته وهدايته وإيمان الجميع به".

وحتى هارت الذي يبدو أنه أنصف الرسول ﷺ لم يسلم من تأثير الصورة النمطية الناتجة عن الدافع الديني للاستشراق حيث ربط بين حادثة حظر العرب للنفط عام 1973م عن الغرب والغزوات الإسلامية في القرن السابع الميلادي.

فهذه آراء بعض المنصفين من المستشرقين أوردتها دون تعليق لأنها غنية عن التعليق.

المطلب الثاني: آثار الدافع الديني للاستشراق على الفكر الإسلامي.

لا تخلو ظاهرة من الظواهر من أثر قد يكون إيجابياً وقد يكون سلبياً وقد يجتمع الأثران في الظاهرة نفسها بنسب متفاوتة تطغى إحداها على الأخرى فتدمغ الظاهر بالسلبية أو الإيجابية حسب غلبة أي منهما. و الاستشراق أحد هذه الظواهر التي أثارت جدلاً واسعاً لا يزال يعتمل حتى اليوم بين المثقفين في المشرق والمغرب وهو أكثر تفاعلاً في عالمنا العربي والإسلامي كونه المستهدف من هذه الظاهرة. و على الرغم مما قيل في الاستشراق قدحاً ومدحاً فإنه لا يخلو من الأثرين السلبي والإيجابي.

أولاً :الآثار الإيجابية.

ونقصد بالأثر الإيجابي ما أوجده الاستشراق من حراك في تراثنا الإسلامي الذي كان كمياه راكدة لم تتحرك منذ سنوات تحركاً إيجابياً حتى قذف الاستشراق بحجره، فالتفت المسلمون إلى تراثهم بحثاً ودراسة وتحقيقاً بعد أن قام بهذا الجهد أولاً المستشرقون وعلى طريقتهم كونهم نفضوا الغبار المتراكم على هذا التراث، فاستفادوا منه في تطوير مناهجهم العلمية والحضارية. وبعيداً عن البحث في نيات المستشرقين يمكن عرض الآثار الإيجابية للاستشراق فيما يلي :

1. لفت الأنظار إلى التراث الإسلامي.
2. نشر هذا التراث، الأمر الذي أدى إلى الاستفادة منه على المستوى الإنساني.
3. عمل الموسوعات ودوائر المعارف التي أصبحت مراجع لا يستغني عنها أي باحث.
4. تحقيق الكثير من كتب التراث الإسلامي ونشرها وفهرستها الأمر الذي أثرى المكتبة الإسلامية.
5. القيام بعمل فهرسة لألفاظ الحديث الشريف مما سهل على الباحثين الإفادة منها.
6. تأليف الكتب المتعلقة بالتراث والفكر الإسلامي وعرض وجهة نظر المستشرقين ومواقفهم من هذا التراث.
7. تحفيز المفكرين المسلمين للكتابة رداً ونقداً على مواقف المستشرقين وأفكارهم وإزالة اللبس وتفنيد شبهاتهم الخاطئة في جوانب العقيدة والتشريع.
8. قيام مراكز أبحاث إسلامية في الغرب لتقديم الإسلام الصحيح فكراً وسلوكاً وحضارة بعيداً عن الصور النمطية التي رسمها الاستشراق عبر جمعياته ومراكز أبحاثه.

ثانياً: الآثار السلبية.

يعتبر الفكر الاستشراقي من أخطر أنوع الفكر تأثيراً على الفكر الإسلامي، فالمستشرقون كمجموعة من العلماء تخصصوا في العلوم الإسلامية وفي المجتمع الإسلامي، أصبحوا على قدر كبير من المعرفة بالجوانب التي يمكن أن ينفذوا منها إلى الفكر الإسلامي. فقد نفذوا وبتشجيع من بعض القادة الاستعماريين[76] من خلال العديد من النظريات الغربية التي ارتبطت بالعلوم الإنسانية والاجتماعية والتي تدرس في العديد من الجامعات العربية والإسلامية، وجاء انتشار عدد من النظريات باسم الحداثة بعد أن تراجع الإيمان الديني وفقد الدين مرجعيته المعصومة والمطلقة في أوروبا ليساعد على انتشار هذه النظريات وقد تمثلت هذه النظريات في جملة نزعات فلسفية خلاصتها أن :

1. الإنسان محور الأشياء ومقياسها.

2. العقل مرجعية الأشياء وليس الدين.
3. المادة مقياس كل الأشياء في الوجود

ووفقاً لهذه الفلسفات أصبح الدين عند علماء النقد التاريخي مجرد تراكمات ثقافية استمدت من مصادر متعددة، والأنبياء (عليهم السلام) شخصيات خرافية لأنهم لم يظهروا في السجلات والرقوم التي عثر عليها الأثاريون في حفرياتهم.

وعليه فقد صار بعض تلامذة المستشرقين يرددون: إن للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي[77]. كما أن الاحكام الشرعية إنما ظهرت نتيجة لما في الحياة من تطور وأن نظام الإرث لا بد من تغييره وكذا تعدد الزوجات. وقدمت العلمانية إلى المجتمعات الإسلامية كدين بديل ولم تعد تحمل ذلك المفهوم التقليدي "فصل الدين عن الدولة" بل هي كما يقول ماكس ويبر[78]: "صيرورة ثقافية، أحادية التوجيه وغائية في مقصدها ترمي إلى تجريد الوجودين الطبيعي والإنساني معاً من معاني القداسة "وقد نتجت عن هذه الفلسفة أن القرآن لا سبيل إلى فهمه إلا إذا اعتبرناه ـ كالتوراة والإنجيل ـ كتاباً تاريخيا ونصاً أدبياً مفتوحاً على النقد بكل صوره!!. و بالطبع فإن التسليم بهذه الفكرة يقود إلى التأكيد بأن القرآن صنعة بشرية وليس وحياً إلهياً وهذا ما يريد المستشرقون الوصول إليه.

وفي الوقت الذي تنتفض الأوساط الكنسية[79] والكنيسية[80] اعتراضاً على دعاوي التنوير والانصهار والتجديد في النظام اللاهوتي لديهم والتي تدعو إلى تقلد المرأة منصب الكهانة المحصور على الذكور في هذا الوقت يدعو بعض المفكرين المنسوبين للإسلام إلى السماح للجنسين بالاختلاط في أماكن العبادة عموماً. وتغيير نظام الميراث في الإسلام وإلغاء تعدد الزوجات[81].

وانتقلت هذه النظريات إلى الحياة الفكرية والثقافية العامة في الجامعات, وذلك لما للجامعات من دور في نقل الفكر خاصة وأن معظم الأكاديميين لهم تأثيرهم الكبير على الحركة الفكرية. وقد نجح الاستشراق في تكوين قاعدة علمية وثقافية له من أبناء المسلمين الذين يقومون بترويج آراء المستشرقين ونظرياتهم وتتكون هذه القاعدة من تلاميذ للمستشرقين تلقوا تعليمهم العالي في الجامعات ومعاهد الغرب تحت إشرافهم وعادوا إلى بلادهم يرددون النظريات والشُبَه الاستشراقية ويقومون على شرحها، وتفصيلها، وتطبيقها في تخصصاتهم.

ويمكن إيجاز الآثار السلبية للدافع الديني للاستشراق فيما يأتي:

1. **إثارة الشكوك لدى المسلمين** حول جدوى التمسك بالتناول الإسلامي أو المعالجات الإسلامية لمشاكل المجتمع المسلم.
2. **الدعوة إلى ما يسمى تحديث العلوم والمناهج** ووضع أسس جديدة للتعليم تقوم على نظريات ومناهج غربية في كل مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية تتصادم مع مفهوم الإسلام وفكره
3. **تهيئة مناخ للصراع الفكري والعلمي** بين المؤسسات العلمية والتعليمية في المجتمعات الإسلامية مما أوجد فجوة كبيرة في البرامج التعليمية و شتت الجهود الفكرية والثقافية والعلمية للمسلمين.
4. **إنشاء جامعات ومؤسسات تعليمية غربية خالصة** داخل المجتمع الإسلامي تتبع النظم الغربية في التعليم تبعية مطلقة، وليس للسلطات العلمية والتعليمية الوطنية أية سيطرة عليها. فهناك مثلاً الجامعات الأمريكية المنتشرة في مصر ولبنان، وهناك الجامعات البريطانية المنتشرة في الهند، السودان وغيرها
5. **نشر القيم الغربية من خلال الاهتمام بالأدب السلبي المدفون** في بعض المصادر الأدبية القديمة، بل واعتبار ما تقدمه من نماذج لحياة منحرفة وفاسدة على أنه من طبيعة الحياة الإسلامية مثل "ألف ليلة وليلة "وكتاب الأغاني للأصفهاني. وقد توسع المستشرقون في استخدام مثل هذه الأعمال كمصادر اساسية لموضوعات ودراسات تدخل في مجال الدراسات الدينية والعقدية.
6. **نشر الفكر غير العقلي:** فبالرغم من إنكار بعض المستشرقين للدين واعتبار المادة والعقل هما مقياس الأشياء فإنهم عملوا على نشر الخرافات والأساطير في المجتمعات، ومحاربة الإسلام كدين عقل، وتشجيع الاتجاهات الدينية لبعض

الفرق التي تحتوي أفكارها وعقائدها وممارستها على عناصر تساعد على تغييب العقل المسلم، ولعل هذا يشرح سر الاهتمام الاستشراقي بالتصوف وبعض فرقه ترجمةً ونشراً وتحقيقاً والذي تخصص فيه عدد من أبرز المستشرقين أمثال لويس ماسينيون، وهنري كوربان ونيكسون، كما اهتموا ببعض الطرق الصوفية المعاصرة وممارستها بما تحتويه من شطحات لا يقبلها العقل السليم، وما ترويه من كرامات وخوارق حسب زعمها، وما تدعو إليه حياتهم من تواكل وإهمال للواجبات والفروض الدينية، في الوقت الذي صرفوا فيه النظرعن التصوف الحقيقي الموافق للكتاب والسنة والذي كان عليه الجنيد رحمه الله وأمثاله.

7. **تشجيع الثقافات القومية:** قام الاستشراق بتشجيع الثقافات القومية المؤدية إلى إحياء النزاعات بين الشعوب الإسلامية، وذلك من خلال التركيز على دراسة الآداب والتراث القومي لكل شعب إسلامي على حدة فكما شجعت فرنسا إحياء اللغة الأمازيغية[82] في الجزائر والمغرب، شجعت بريطانية الأكراد على المطالبة باعتبار لغتهم القومية لغة رسمية في تركيا. ونحن لا نرى مانعاً من رد الاعتبار لهذه اللغات والعادات القومية ولكن في إطار الوحدة لا بهدف التجزئة كما يرغب المستعمرون.

8. **تكريس الصورة النمطية للإسلام في الغرب** مما أدى إلى تخويف الناس من الإسلام وفكره فيما عرف "بالإسلام فوبيا "وما حادثة النروج التي نفذها متطرف يميني مسيحي حيث قام بتفجير مركز نرويجي يتعاطف مرتادوه مع الوجود الإسلامي في النروج، وكذا ما سبق من حظر المآذن في سويسرا والإساءة بالرسوم للرسول ﷺ وكذا فلم فتنة الذي أنتج في هولندا بغرض التشويه للإسلام و الإساءة الى القرآن و تم نشر الفيلم في الإنترنت بتاريخ 27 آذار 2008. و هذا مثال حيّ على هذا التخويف من الإسلام.

ومما سبق يتضح أن أثر الدافع الديني للاستشراق لا زال فاعلاً ومؤثراً على خلاف ما يعتقده البعض من الذين يقللون تأثيره.

الخاتمة

لاشك أن موضوع الاستشراق من الموضوعات الشائكة خاصة فيما يتعلق بتأثير دوافعه ليس على الفكر الاستشراقي (موضوع هذه الدراسة) فقط وإنما امتد أثره إلى كافة أوجه النشاط الاجتماعي والاقتصادي والسياسي غير أن أثره في الفكر يعد أكثر خطراً من بقية الجوانب كون الفكر هو الذي يتولى تشكيل عقليات القائمين على هذه الأنشطة. وبذا فهو يدخل في التفاصيل الدقيقة لحياة الناس، فتراهم يتطبعون بطباع وعادات تبعاً لهذا التأثير.

وربما يكون الأثر في الدين أشد خطورة من غيره ولهذا فقد ركز المستشرقون على الهدف الديني كونه حجر الزاوية في حياة المسلمين ذلك أن الدين الإسلامي بفكره يمثل نمط حياة لا تقتصر على الدنيا بل تمتد إلى ما بعد الموت، ولذا فقد ظلت الحرب سجالاً بين الفكر الاستشراقي والفكر الإسلامي ولم تحسم حتى الآن، وإن كانت بوادر النهوض في الفكر الإسلامي المعاصر قد بدأت تظهر خاصة بعد أن بذل المفكرون الإسلاميون جهوداً حثيثة لتصحيح الصور النمطية التي تمكن الفكر الاستشراقي من ترسيخها على مدى قرون في أذهان المجتمعات الغربية، ولازال مفكرو الاستشراق يبتكرون أساليب جديدة لهذه المواجهة، الأمر الذي يفرض تحدياً على المفكرين الإسلاميين لتطوير وتجديد خطابهم المعاصر خاصة بعد أن تراجع الاستعمار الغربي وتراجعت بالتالي معطياته التي كانت تدعم الاستشراق وتروج لشبهه و مصطلحاته.

ومما سبق فقد انتهينا إلى النتائج والتوصيات الآتية :

أولاً: النتائج

1. أن الدافع الأساسي وراء نشأة الاستشراق كان دينياً ولذا فقد حظي برعاية الكنيسة وخضع لسياستها وتوجيهاتها.
2. أن الإسلام – ديناً وفكرا –ً كان هدفاً للاستشراق وقد استخدم بعض المستشرقين وسائل بعيدة كل البعد عن العلمية المنهجية والأخلاقية في هجومهم عليه بل وإصرارهم على تعميم مناهجهم في الجامعات والمراكز العلمية الإسلامية.
3. أن الدافع الديني للاستشراق لم يختف تماماً عبر مراحله وإنما كان أحياناً في حالة كمون سرعان ما يظهر إذا توافرت ظروفه.
4. أن الاستشراق كان الرائد الأول للتمهيد للاستعمار فقد كان . ابرز. المستشرقين يعملون كمستشارين للدوائر الاستعمارية وهم أنفسهم قادة التبشير في تلك المستعمرات.
5. أن ظهور بعض المنصفين بين المستشرقين لم يحقق الأثر الكافي لتغيير قناعات رسختها صور نمطية صنعها بعض ا لمستشرقين الذين يعادون الإسلام.
6. أن الفكر الإسلامي ظل على مدى قرنين في موقع المدافع وانشغل بقضايا وشبهات آثارها المستشرقون وهي لا تمثل جزءاً مهماً من رسالته، مما أطال بقاءه في موقع الدفاع.
7. أن ظهور باحثين مجتهدين من المفكرين الإسلاميين حوّل الفكر الإسلامي من موقع الدفاع إلى ما يقترب من الندية لمفكري الاستشراق.
8. أن من سنن الله في الكون استمرار التدافع والصراع وعليه فإننا لا نتوقع أن ينتهي الصراع الفكري بين المستشرقين والمفكرين الإسلاميين خاصة في ظل إصرار بعض المستشرقين المعاصرين على التمسك بنفس الطروحات القديمة التي كانت سبباً في تأجيج الصراعات التي أنتجت الحروب الصليبية القديمة والحديثة.

ثانياً: التوصيات

1. العمل على تنقية التراث الإسلامي وإزالة الشوائب التي لا تمثل صحيح الفكر الإسلامي عن طريق مراكز البحوث الفكرية الإسلامية.

2. جمع النتاج الاستشراقي وإخضاعه للفرز عبر إعداد الدراسات والمسوح والتقارير عن الدراسات الاستشراقية في الدول الأجنبية المختلفة ومتابعة آخر تطوراته ومواجهة آخر ما يصدر عنه من كتب ومجلات وتزويد مكتباتنا بكل جديد.
3. توجيه الدراسات العليا في أقسام الدراسات الإسلامية لدراسة الفكر الإسلامي والتيارات التي تحاول التأثير فيه وفقاً لمنهج علمي بعيداً عن نمطية المنهج الاستشراقي القائم على تأثيرات الدوافع الاستشراقية وعلى رأسها الدافع الديني.
4. المشاركة في مختلف فعاليات الاستشراق ونشاطاته للفت نظر الأوربيين إلى ما يقوم به المسلمون من نشاطات وأبحاث لخلخلة معايير الاستشراق وبناء مفاهيم ومعايير جديدة.
5. النقد الموضوعي بعيداً عن التهجم أو الطعن في الأشخاص والعمل على فتح مجالات للحوار للوصول إلى الحق.
6. تشجيع الإسهامات "الموضوعية "في النتاج الاستشراقي و ترجمته إلى العربية ودعوة المستشرقين"الموضوعيين "إلى مؤتمرات عربية إسلامية دعماً لهذه الأصوات المنصفة لئلا تصبح صوتاً وحيداً لا يجد من يتبناه.
7. العمل على إيجاد دائرة معارف إسلامية جديدة تحل محل دائرة المعارف الإسلامية التي سطرها المستشرقون وكذا إيجاد موسوعة عربية للرد على المستشرقين وإسهاماتهم الخاطئة وبيان وجه الخطأ فيها.

الهوامش

1. إدوارد سعيد : الاستشراق– ترجمة : كمال أبو ديب – ط (3) 1995م– مؤسسة الأبحاث العربية ، صـ 80 .
2. أحمد عبد الرحيم السايح: الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي 1996 م – الدار المصرية اللبنانية – القاهرة –، صـ 10 .
3. الشيخ أحمد رضا: معجم متن اللغة – د.ط – 1958 م – دار مكتبة الحياة – بيروت– ج 3 ، صـ 311 .
4. السايح : المرجع السابق ، صـ 10 .
5. رودي بارت: الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية – ترجمة : مصطفى ماهر– د.ط – 1976 م – دار الكتاب العربي – بيروت ، صـ 16 .
6. محمد جلاء إدريس : الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية ، د. ط – 1995م ، العربي للنشر – القاهرة ، صـ 18 .
7. عبد السلام هارون : تهذيب سيرة ابن هشام– ط(2) – 1964 م– المؤسسة العربية الحديثة – القاهرة، صـ 33 .
8. علي إبراهيم النملة : " كنه الاستشراق " مجلة دراسات استشراقية وحضارية – مركز الدراسات الاستشراقية والحضارية – كلية الدعوة – المدينة المنورة – العدد الأول – 1993 م ، صـ 33 – 34 .
9. يوحنا الدمشقي (676–760م) نشأ في أسرة واصبح في شبابه راهباً ، خلف اباه على إدارة المال في عهد الأمويين حتى خلافة هشام بن عبد الملك . ثم اعتزل العمل الإداري وعاش في فلسطين قديساً وتوفي فيها. أسد رستم : الروم وصلاتهم بالعرب ط (1) – 1955م – دار المكشوف – بيروت ، ج 1 ، صـ 341.
10. إدريس : المرجع السابق ، صـ 18 – 19 .
11. النملة : المرجع السابق ، صـ 34 .
12. إدوارد سعيد : الاستشراق ، صـ 80 .
13. المرجع نفسه والصفحة .
14. محمد إبراهيم الفيومي : الاستشراق في ميزان الفكر الإسلامي – سلسلة قضايا إسلامية تصدر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة 1994م، صـ 10 و السائح ، الاستشراق في ميزان النقد الفكري الإسلامي ، صـ 19 .
15. عبد الله محمد النعيم ،الاستشراق في السيرة النبوية – ط (1) 1997م ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا ، صـ 17 .
16. مصطفى السباعي : الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم – 1989م – المكتب الإسلامي – بيروت ، صـ 13–14.
17. السايح : المنهج النقدي للفكر الاستشراقي – بحث منشور في مجلة رسالة الجهاد الليبية – عدد (85) – السنة العاشرة ديسمبر 1991 م .
18. توماس الأكويني : ولد سنة 1225 م ، وتوفي سنة 1274 م ، يعد من أعظم فلاسفة اللاهوت في العصر المدرسي الكنسي ، وفي سنة 1323 م منحته الكنيسة الكاثوليكية لقب "القديس" .
19. عفاف صبرة ، المستشرقون ومشكلات الحضارة – 1985م – دار النهضة العربية – القاهرة ،صـ35 .
20. السايح : الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي ، صـ 21 .
21. صبرة – المستشرقون ومشكلة الحضارة ، صـ 35

22. لجأ البعض من المستشرقين إلى شراء المخطوطات بأثمان بخسة أو سرقتها من المكتبات العامة أو مصادرتها أثناء احتلالهم للبلاد الإسلامية – راجع السباعي – المرجع السابق ، صـ14– 15 .

23. السائح : المنهج النقدي للفكر الاستشراقي مرجع سابق .

24. صدام الحضارات : (The Clash of Civilizations) هي نظرية أخذت شهرتها بعد انهيار الإتحاد السوفياتي عام 1990 وبروز الولايات المتحدة الأميركية كقوة عظمى أولى ووحيدة في العالم. نظرية صيغت في الأصل لعام 1992 في معهد امريكان انتربرايز ثم استخدمت في الشؤون الخارجية تحت عنوان "صراع الحضارات؟" ، [2] وقد أشار إليها فرانسيس فوكوياما في كتابه " نهاية التاريخ والإنسان الأخير" . توسعت لاحقا لأطروحة هنتنغتون في التاريخ الموسومة " صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي" , وقد استخدم المصطلح ذاته من قبل برنارد لويس في مقالة له عام 1990 في عدد سبتمبر من مجلة المحيط الأطلسي تحت عنوان "جذور الغضب الإسلامي".

25. نهاية التاريخ (end of history) وهي عبارة تعني أن التاريخ بكل ما يحتوي من تراكيب ، وصيرورة سيصل إلى نهايته في لحظة ما فيصبح سكونياً تماماً خالياً من التدافع والصراعات، إذ أن كل شيء سيرد إلى مبدأ عام واحد يفسر كل شيء ويسيطر الإنسان سيطرة كاملة على بيئته وعلى نفسه و سيجد حلولاً نهائية حاسمة لكل مشاكله وآلامه .وهذا المصطلح ينتمي إلى عائلة من المصطلحات التي تصف بعض جوانب منظومة الحداثة الغربية التي تعني انتهاء شيء ما والقضاء عليه وغالبا ما يكون هذا شيء الجوهر الإنساني ، كما ظهر متعينا في التاريخ واستخدام هذا المصطلح نهاية التاريخ بشكل أكثر شمولية في كتاب نهاية التاريخ لفرنسيس فوكاياما الذي يرى أن كلاً من هيجل وماركس كانا يريان أن التاريخ سيصل إلى نهايته حينما تصل البشرية إلى شكل من أشكال المجتمع الذي يشبع الاحتياجات الأساسية والرئيسية للبشر فهو عند هيغل الدولة الليبرالية وعند ماركس المجتمع الشيوعي، ولكن العالم بأسره قد وصل إلى ما يشبه الإجماع بشأن الديمقراطية الليبرالية كنظام صالح للحكم بعد أن ألحق الهزيمة بالأيدلوجيات المنافسة وهذا يعود إلى أن الديمقراطية الليبرالية خالية من تلك التناقضات الأساسية الداخلية التي شابت أشكال الحكم السابق.

26. اطلق بوش عبارة الحرب الصليبية بعد أحداث سبتمبر 2001م كمبرر لحملاته العسكرية على أفغانستان والعراق ثم تراجع عن ذلك وقال أنها زلة لسان غير أن الواقع كشف عن حقيقة تلك النزعة العدائية تجاه الإسلام.

27. حسين أحمد أمين، كتاب العربي، موقف المسلمين من الحضارة الغربية , صـ 130–137

28. إبراهيم النملة : صـ18– 19 بتصرف

29. زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية ، صـ8

30. النملة:كنه الاستشراق ، صـ 23–24 بتصرف

31. النملة:كنه الاستشراق ، صـ29

32. المرجع نفسه ، صـ29

33. المرجع نفسه ، صـ30

34. .لخضر شائب: نبؤة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر .ط (بدون) ت. (بدون) مكتبة العبيكان . الرياض صـ 125.
. وانظر أنور الجندي ، شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي ط(2) 1983م المكتب الإسلامي بيروت صـ 143.

35. إدوارد سعيد : الاستشراق ، صـ 89 .

36. المرجع نفسه والصفحة.

37. المرجع نفسه ، صـ 59

38. علي هود باعباد وآخرون : الثقافة الإسلامية – ط(9) – 2009 – مكتبة الإرشاد – صنعاء ، صـ 150 .

39. الفيومي – الاستشراق في ميزان الفكر الإسلامي، صـ 18 .

40. إدوارد سعيد : الاستشراق ، صـ 90 .

41. النعيم – الاستشراق في السيرة ، صـ 20 .

42. محمد فتح الله الزيادي، انتشار الإسلام وموقف الاستشراق منه ، ط (1)– 1990م – دار قتيبة – بيروت ، صـ45–46 .

43. إدوارد سعيد : المرجع سابق ، صـ 91.

44. المرجع نفسه: ، صـ 90.

45 .المرجع نفسه: صـ127

46. رغم أن لفظ الاستعمار يخالف ولا يناسب ما كان يفعله المحتلون في البلدان التي احتلوها وكنت أفضل لفظ " الاحتلال" بدلاً منه إلا أن مدلوله في الوقت الحاضر قد أصبح معروفاً للجميع بأنه سلبي ، ونظراً لشيوعه وانتشاره بهذا المدلول فقد استخدمته.

47. إدوارد سعيد : المرجع السابق، صـ 146، 221.

48.عمر فروخ : الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة , صـ 133.134.

49.محمد البهي : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار ، ط . دار الفكر. بيروت ، صـ 543 .

50. زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية ، صـ 49.

51. فتحي الفاضلي : حقيقة الصراع في ليبيا ، صـ 54 .

52. إسماعيل طالب : الإرهاب العلماني في الجزائر ، مركز التمكين للإعلام الإسلامي ، صـ 5 .

53 . انظر ف ، ف ماشين ، ا،ا . ياكوفليف – المرجع السابق ، صـ 12 .

54. أنظر .eric macro : Yemen and the western world – ترجمة : حسين العمري – ط (بدون) – لندن ، صـ 69 . وانظر أيضاً سلطان ناجي : التاريخ العسكري لليمن – دار العودة – بيروت – ط (2) 1985 م ، صـ 12 .

55. د. عبد الملك عودة وآخرون : الثقافة الإسلامية – ط (9) – 2009 ، صـ 167 .

56. زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري،صـ72.

57. زقزوق الاستشراق والخلفية الفكرية ، صـ 75–76.

58. محمد عبد الله الشرقاوي: الاستشراق والغارة على الفكر الإسلامي، د.ط . 1989، دار الهداية . القاهرة، صـ 12.

59. برنارد لويس : الإسلام في التاريخ ، ط (بدون) – ت (بدون) – صـ 18.

60. إدوارد سعيد : الاستشراق، صـ46.

61. نبيل لوقا بباوي : محمد ﷺ والخناجر المسمومة الموجهة إليه – ط (1) 2005م ، دار البباوي– القاهرة ، صـ41–45.

62. الدليل على ذلك ما تناقلته وكالات الأنباء العالمية عن محاولات التنصير التي قام بها الجنود الأمريكيون في أفغانستان والعراق.

63. سعيد عبد الفتاح عاشور: المدينة الإسلامية وأثرها على الحضارة الأوروبية ، ط بدون 1962م دار النهضة المصرية – القاهرة، صـ28

64. فولتير(1695–1778) يعتبر أحد أهم منظري الثورة الفرنسية لا يؤمن بالأنبياء رغم إدعائه الإيمان بالله .

65 فرنسواه الملقب فولني (1757– 1820م) مفكر وفيلسوف فرنسي زار مصر ومكث ثلاث سنوات وألف كتاب عن رحلته نقل فيه صور متنوعة للسكان في هذه البلدان وقسمهم إلى بدو وحضر.

66. محمد أبو ليلة:محمد بين الحقيقة والافتراء،ط (1)1999م ،دار النشر للجامعات – القاهرة، صـ37

67. ابو ليلة: محمد بين الحقيقة والافتراء ، صـ 44

68. م .ج. لوبلا : الإنجيل قادني إلى الإسلام ترجمة د. حسين الحسيني معدي ، ط (1) . 2010، دار الكتاب العربي– دمشق ، صـ 222.

69. إدوارد جيبون (1737–1794) (Edward Gibbon) مؤرخ إنجليزي، صاحب كتاب (تاريخ سقوط الدولة الرومانية واضمحلالها) .وتناول كتاباته الجانب التاريخي للإسلام.

70. ابو ليلة: محمد بين الحقيقة والافتراء ، صـ 44

71 . رواه البخاري في " الأدب المفرد " رقم (273), و ابن سعد في" الطبقات, (192 / 1) "و الحاكم (2 / 613), و أحمد (2 / 18) .

72. توماس كارلايل: الأبطال ، ترجمة وتعليق محمد السباعي ، كتبة مصر . القاهرة، صـ 53

73. توماس كارلايل: الأبطال ، صـ55

74. مايكل هارت :" الخالدون المائة " أعظمهم محمد ﷺ– ترجمة انيس منصور– المكتب المصري الحديث– ط (بدون) صـ 13.

75.المرجع نفسه ، صـ 18.

76. وضع كرومر مناهج للتعليم في مصر تحقق السياسات الاستشراقية في المعرفة وعين لتنفيذ هذا المخطط مستشاره القس دانلوب مدير المعارف.

حتى قال فيه شوقي: "ما كان دانلوب ولا تعليمه :: عند الحوادث يغنيان فتيلا "

77. طه حسين : الشعر الجاهلي ط (1926م) – القاهرة ، صـ26.

78. عبد الوهاب المسيري: العلمانية والجزئية والعلمانية الشاملة – ط (1) –2002م ، دار الشروق – الدوحة ، ج 2 . صـ 24.

79. الكنسية : نسبة إلى الكنيسة معبد النصارى.

80. الكنيسية : نسبة إلى الكنيس معبد اليهود.

81 . رضوان الشيباني ، الفكر الإسلامي المعاصر ، صـ 174–175 .

82. رضوان الشيباني : الحركات الأصولية الإسلامية في العالم العربي،ط (1) 2006م – مكتبة مدبولي– القاهرة ، صـ 184.

قائمة المصادر و المراجع

1. eric macro : Yemen and the western world. ترجمة : حسين العمري ، د.ط . لندن.
2. أحمد عبد الرحيم السائح : المنهج النقدي للفكر الاستشراقي – بحث منشور في مجلة رسالة الجهاد الليبية – عدد (85) – السنة العاشرة ديسمبر 1991 م .
3. أحمد عبد الرحيم السايح: الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي ط (1) 1996 م – الدار المصرية اللبنانية – القاهرة.
4. إدوارد سعيد : الاستشراق– ترجمة : كمال أبو ديب – ط (3) 1995م– مؤسسة الأبحاث العربية.
5. أسد رستم : الروم وصلاتهم بالعرب ، ط (1) – 1900، دار المكشوف – بيروت.
6. إسماعيل طالب : الإرهاب العلماني في الجزائر . د.ط د.ت ، مركز التمكين للإعلام الإسلامي . باكستان.
7. أنور الجندي : شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي ط(2) 1983م . المكتب الإسلامي . بيروت.
8. توماس كارلايل: الأبطال ، ترجمة وتعليق محمد السباعي د.ط د.ت ، مكتبة مصر ـ القاهرة.
9. حسن نافعة وكليفورد يوزورث ، تراث الإسلام ، عالم المعرفة ـ الكويت عدد (12) 1990ح(2).
10. حسين أحمد أمين، كتاب العربي، موقف المسلمين العرب من الحضارة الغربية د.ط د.ت.
11. رضوان الشيباني: الحركات الأصولية الإسلامية في العالم العربي ، ط (1) 2006، مكتبة مدبولي – القاهرة.
12. رودي بارت: الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية – ترجمة : مصطفى ماهر– د.ط – 1976 م – دار الكتاب العربي – بيروت.
13. سالم حميش: الاستشراق والعهد الإستعماري – مجلة الاجتهاد – عدد 23– بيروت 1994م.
14. سعيد عبد الفتاح عاشور، المدينة الإسلامية وأثرها على الحضارة الأوربية د.ط 1962م . دارالنهضة المصرية ، القاهرة.
15. سلطان ناجي : التاريخ العسكري لليمن – دار العودة – بيروت – ط (2) 1985 م.
16. صالح زهر الدين: الإسلام والاستشراق – ط(1) – 1991 م – دار الندوة الجديدة – بيروت.
17. طه حسين : الشعر الجاهلي د.ط – القاهرة.
18. عبد الحميد صالح حمدان ، طبقات المستشرقين ، د.ط د.ت – مكتبة مدبولي ، القاهرة
19. عبد السلام هارون : تهذيب سيرة ابن هشام– ط(2) – 1964 م– المؤسسة العربية الحديثة – القاهرة.
20. عبد العظيم الديب:المستشرقون والتراث،ط (3) –1992م، دار الوفاء– المنصورة.
21. عبد الله محمد النعيم ،الاستشراق في السيرة النبوية – ط (1) 1997م ، المعهد العالي للفكر الإسلامي، فرجينيا.
22. عبد الملك عودة وآخرون : الثقافة الإسلامية – ط (9) – 2009م.
23. عرفان عبد الحميد : المستشرقون والإسلام ، ط 1979م ، مطبعة الإرشاد – بغداد.
24. عفاف صبرة ، المستشرقون ومشكلات الحضارة – 1985م – دار النهضة العربية – القاهرة .
25. علي إبراهيم النملة: " كنه الاستشراق " مجلة دراسات اشتشراقية وحضارية – مركز الدراسات الاستشراقية والحضارية – كلية الدعوة – المدينة المنورة – العدد الأول – 1993 م.
26. علي هود باعباد وآخرون : الثقافة الإسلامية – ط (9) – 2009 – مكتبة الإرشاد – صنعاء.
27. عمر فروخ ومصطفى الخالد ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، المكتبة العصرية بيروت.
28. قاسم عبده المحبشي ، فلسفة التاريخ في الفكر الغربي المعاصر (أرنولد توينبي موضوعاً) – ط (1) – 2006م ، الهيئة العامة للكتاب – صنعاء.
29. م.ج. لوبلا: الإنجيل قادني إلى الإسلام – إعداد وترجمة الحسين الحسيني معدي – ط (1) –2010م – دار الكتاب العربي – دمشق.

30. محمد إبراهيم الفيومي : الاستشراق في ميزان الفكر الإسلامي – سلسلة قضايا إسلامية تصدر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة 1994م.
31. محمد أبو ليلة:محمد بين الحقيقة والافتراء، ط (1)1999م ،دار النشر للجامعات – القاهرة.
32. محمد البهي : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي، ط (11)1985م. دار غريب ـ القاهرة.
33. محمد جلاء إدريس : الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية ، د. ط – 1995م ، العربي للنشر – القاهرة.
34. محمد عبد الله الشرقاوي: الاستشراق والغارة على الفكر الإسلامي، د.ط . 1989، دار الهداية ـ القاهرة.
35. محمد فتح الله الزيادي، انتشار الإسلام وموقف الاستشراق منه ، طا (1)– 1990م – دار قيبة – بيروت.
36. محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ط (2) – 1964م – المؤسسة العربية الحديثة – القاهرة.
37. مصطفى السباعي : الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم – 1989م – المكتب الإسلامي – بيروت.
38. المنجد في اللغة والإعلام " د.ط 1986م دار العلم للملايين . بيروت.
39. منير البعلبكي : المورد ، ط (2) 1969 – دار العلم للملايين – بيروت.
40. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة– ط (2) 1989 – الندوة العالمية للشباب الإسلامي – الرياض
41. نبيل لوقا بباوي، محمد (صلى الله عليه وسلم) والخناجر المسمومة الموجهة إليه ،ط (1) 2005 ، دار البباوي–القاهرة.